أثر توظيف الشخصية الدينية في شعر مصطفى الغماري

دراسة تحليلية تناصية

د.رياض بن الشيخ الحسين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Abstract

Intertextuality is considered as one of the most distinct techniques, which modern poets attended to and took an interest in it as a sort that gives the text enrichment and abundance.

This research takes up a kind of intertextuality in the poetry of Mustapha Mohamed al-Ghomari.

The meaning of the term intertextuality is given after presenting a theoretical introduction.

الملخص

يركز هذا البحث على دراسة ضرب من ضروب التناص في شعر الشاعر مصطفى محمد الغماري هو التناص مع الشخصيات الدينية،وهو موضوع حيوي لم يحظ بعد بالعناية الكافية من الدارسين والباحثين، وذلك لأنه الأكثر انتشارا في هذا المتن الشعري، وبعد أن يقدم الباحث مهادا نظريا يبرز فيه المغزى الأدبي العام من استحضار الشخصية التي لها ثقل معين في المجتمع الاسلامي والإنساني عموما، فإنه يعمد إلى دراسة نماذجه دراسة تحليلية تطبيقية تكشف عن مواطن الجمال فيها.

تتمحور هذه الدراسة حول محاولة الكشف عن أثر توظيف الشخصيات الدينية في المتن الشعري للشاعر مصطفى محمد الغماري، وتجلياته الجمالية من خلال استنطاق نصوصه، ومتابعة مسار تجربته الشعرية ورؤيته الفكرية والفنية وفق مفهوم التناص. والشاعر الغماري من الشعراء الجزائريين الذين يتكئون على الدين ويسترفدون شخوصه،ويمكن للقارئ أن يلمس هذا من خلال القراءة الأولى لنصوصه، حيث لا يكاد يخلو نص من ذكر إحدى الشخصيات التي ترتبط بعلاقة مباشرة رئيسة أو ثانوية ببنية النص ولعل نص الشاعر أكثر التصاقا بالدين وأوثق صلة به، نظرا لطبيعته الفكرية والإصلاحية في الوقت الراهن، فيتخذه ملاذا يحتمي به ضد المتغربين، الذين يعادون التوجه، ويحاولون خلخلة الهوية وضرب قواعدها من الداخل،محاولا إقناع قارئه بذلك من أجل إثبات الذات والمحافظة على مقوماتها، من خلال إثراء النص الحاضر، برموز التاريخ الإسلامي وشخصياته المختلفة الإيجابية أو السلبية، فيحاول إعادة قراءة التاريخ وتوظيفه بصورة انتقائية هادفة، قاصدا تجسيد مواقف معينة، كان لها أثر في تسطير منهج واضح لميزان القيم في حياة الناس، سواء أكانت خيرة أم شريرة، ودالا على أنها متجددة ومتجاوزة للبعدين الزماني والمكاني في هذا الوجود. وانطلاقا من هذا المفهوم يرى الدارسون بأن:"الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية"[1].
وما تجب الإشارة إليه هنا، أن استدعاء الشاعر لهذه الشخصيات في نصوصه، هومحاولة التوفيق بينها وبين واقعه المعاصر المشكل لتجربته الإبداعية ومعاناته الذاتية، ليس من أجل أن تدل دلالة ثابتةتكون مرادفا لما يترسب في باطن الوعي الجمعي، بل إنها متغيرة الدلالة، وتتأثر بحرية الكلمة وحرية المبدع، فتكون عونا للنص في الوصول إلى هدفه المسطر، وعاملا من عوامل إنتاج المعنى ضمن سياقه الحديث، فالشخصية في هذه الحالة ستتحول إلى "شفرة حرة، متفاعلة قابلة لتعدد الدلالة عند توظيفها فنيا في سياق القصائد الشعرية، ولهذا يجب أن ينظر إلى نجاح التوظيف أو فشله فنيا، من خلال رصد مدى اندماج الشخصية...داخل بنية النص ومقدار مساهمتها في تعميق دلالته الكلية، وليس من خلال قياس مدى توافق التوظيف أو مدى تخالفه مع المرجع (الديني) الذي يعد عنصرا خارجيا عن النص"[2].

---

[1] _علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، مصر 1997، ص 120.

[2] _أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر 2006، ص 8.

وعلى هذا الأساس يصبح حضور الشخصية في فضاء النص الماثل له دور فاعل في تشكيل أبعاده الفنية الجمالية وتحقيق متعته الإبداعية، عندما يقوم بامتصاصها وإدخالها في علاقاته الوظيفية الجديدة، لأن كل ما يدخل في العمل الشعري كما يرى "ميخائيل باختين" "عليه أن يغرق في مياه ليتي"[1]فيضمن النمو والاستمرار بروح ونفس جديدين سيقدمان للنص الحاضر لا محالة إضافة إيجابية يتجلى أثرها في الهيكل الفني للنص وفي وضوح الرؤية وسلامة اللفظ والمعنى، التي يتم تخصيبها داخل بنيته، لأن النص الشعري كما يرى محمد مفتاح "لا يحيل على واقع خارج عنه يثبت صدقه أو كذبه على ضوئه، وإنما له واقعه الداخلي فصدقه مستمد من ذاته وليس من خارجه"[2].ويجدر بنا أن نشير إلى أن استدعاء الشاعر للشخصيات، لم يتوقف عند الشخصية الدينية العربية والإسلامية فقط، بل تجاوزها لتوظيف شخصيات أخرى ذات أبعاد عالمية تربطها علاقة وثيقة بمستويات النص الموضوعية والجمالية.

وبتصفحنا للمتن الشعري للغماري نجده يستحضر عددا هائلا من الشخصيات العربية وغير العربية، إسلامية كانت أو غير إسلامية، تراثية كانت أم حداثية، لكن المتلقي لنص الغماري إذا ما قام بإحصائها وتصنيفها، فإنه سيكتشف على الفور أن أغلبها ينضوي تحت قبة التراث الديني العربي والإسلامي، وأن جميع شخصياته تعكس تراكما معرفيا حضاريا، ذا صبغة عالمية تثاقفته الأجيال فيما بينها، والأهم من ذلك لدينا في هذا السياق، هو الرصيد المعرفي الذي يحوزه الشاعر فيطبع نصه بطابع العالمية من ناحية، ويمنح لنصه الحر حرية وانفتاحا أكثر، يمكناه من القبض على أدوات وآليات الكتابة الإبداعية الملائمة لرؤيته الفنية والفكرية من ناحية أخرى، كما يتسنى للمتلقي أيضا، أن يكتشف الاستدعاء المتكرر لبعض الشخصيات في المتن الشعري عبر مجموعة من نصوصه تارة، وضمن نص واحد تارة أخرى، لكن الذي يجب أن نلفت إليه النظر هو أن تكرار الشخصية داخل بنية عدة نصوص، لا يعني بالضرورة إنتاج دلالة معينة أو محددة،بل قد تؤول إلى دلالات مختلفة، بحسب منطق النص الذي ترد فيه لاسيما إذا كانت الشخصية المستدعاة ذات خلفية ثرية وحمولة دسمة غنية بالتطورات، فيمكن للقارئ أن يرصد تجليات هذه الشخصية المكرورة عبر نصوص عدة، وما تستدعيه في ذهنه من دلالات متعددة بحسب علاقة الحضور بالغياب التي يحدثها منهج التداخل بين النصوص، وبحسب خلفيته المعرفية التي يجب أن تشترك فيها مع المنتج الأول للنص (أي

---

[1] _ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد براءة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، مصر ط1987/1، ص 66.

[2] _محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجيةالتناص، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب ط2005/4 ، ص 11.

الغماري) لأن "المعرفة الخلفية المشتركة ضرورية لاستقبال النص، كما هي ضرورية لانتاجه"[1] ومن أجل رسم حدود لدراسة الشخصيات المستحضرة، فإننا عمدنا إلى اختيار الشخصيات الأكثر ثراء واحتفالا بالحركة والحيوية،وهي شخصيات ثلاث: محمد صلى الله عليه وسلم والإمام الحسين رضي الله عنه والنبي عيسى عليه السلام وهي شخوص مكرورةتسهم في اعتقادنا في تشكيلمكمن التميز والتفرد عند الشاعر، كما تلقي بظلالهاعلى محتوى الرؤية المركزية التي تمد خيطها الواصل بين نصوصه، وتجدر الإشارة إلى أننا نعتمد في تتبع كيفية تداخل الشخصية في النص بتعيينها بواحد من أسمائها المشهورة، الذي تعرف به وتتميز به عن غيرها من الشخوص الأخرى، فيكون العلم بأقسامه الثلاثة(الاسم و اللقب والكنية) هذه كلها معنية بتحديد الشخصية المقصودة في النص الحاضر، وكذا ما اشتهر عنها من قول أو فعل تختص به، لكن القارئ للنص قد تواجهه صعوبة تحديد الشخصية المعنية حين تعتم الرؤية في النص ويثار الالتباس بسبب التشابه أو الاتحاد في التسمية أو الوصف، فالقارئ في هذه الحالة "لا يجد أمامه سوى وسيلة وحيدة يمكنه الارتكاز عليها في محاولة تعيين الشخصية...داخل النص وهي السياق" [2].

تعامل الغماري مع الشخصيات التي استحضرها في نصه فامتص آثارها واستحيا واقعها السابق، وتمكن من استدعائها إلى الواقع الجديد، ليجعل منها في النص قناعا فنيا، ويصل بها بين الماضي والحاضر، غير أن الطبيعة الفنية والفكرية التي يتميز بها نصه، جعلته يسلك سلوكا خاصا في انتقاء شخصياته والتركيز على فئة معينة منها، واستنطاق ملامحها بحسب الوجوه الملائمة لخط سير النص، الذي يبلور الصراع القائم بين المجتمع العربي والإسلامي ضد المجتمع الغربي المستعمر، وصراع المسلم الوفي لدينه ولوطنه ضد الاستبداد والقهر داخل مجتمعه، ومن هذا المنطلق تمحورت قراءتنا للمتن بمحاولة اكتشاف كيف تمكن الشاعر من اختيار ما يناسب تجربته، من ملامح الشخصيات الثلاث المذكورة وتأويلها حسب ملاءمتها لطبيعة التجربة، وإضفاء الأبعاد المعاصرة عليها[3]، من أجل اكتساب النص قوة التأثير في المتلقي من خلال حسن توظيف المعنى وجمالية الكلمة.

1- شخصية محمد صلى الله عليه وسلم:

---

[1] _محمد مفتاح: دينامية النص،تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3/ 2006، ص 47.

[2] _أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، ص 15.

[3] _علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص 240.

يستدعي الشاعر في قصيدته "عرس في مأتم الحجاج" شخصية "محمد"صلى الله عليه وسلم في قوله:

عجبا..أينجب "بارباس" بدربنا هذي الوجوه..وليتها أحبار

أترى المسافة ألجمتها الريح أم عقمتجياد "محمد" يا دار

ويثور ملء الدرب جرح أصالة لا القمر يطويها ولا الاعصار[1].

يرد في النص ذكر لاسم العلم "محمد" الذي يحمله كثير من الناس،فيصعب على القارئ تحديد الشخصية المقصودة، لذلك يجب عليه أن يربط الاسم بالسياق الذي ذكر فيه، ولعلنا إذا أمعنا النظر في المقطع وتوغلنا في أعماق بنيته سنجد بأن المقام يعرض على المتلقي وضعيتين متناقضتين تعكسان حال المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر. وضعية حاضرة مأساوية يلفها الضعف والانحطاط، وأخرى قديمة مزدهرة، ويحتاج الشاعر لاستعادة ذلك المجد والعزة بربط الحاضر الضعيف بالماضي القوي، بواسطة شخصية قوية تحمل ملامح مكثفة متدفقة بإيحاءات وأبعاد القوة المعنوية والمادية وهي شخصية محمد رسول الله ﷺ، هذه الشخصية المتنوعة، التي ظلت شاهدةفي كل العصور على مسار الأمة، وتلقي بظلالها الوارفة على قضاياها المتنوعة، فالسياق يشير بطريقة فنية رامزة إلى الدور الذي لعبته في خدمة البشر وفي تقوية الذات وصلابة موقفها، ونجد هذه الحالة النفسية الملتاعة والحائرة تتكرر عند الشاعر بشكل يكاد يكون مستمرا فينطبع نصه بطابعها، لذلك نجد شخصية الرسول "محمد" ﷺ تحضر بإلحاح في السياق فنيا ومعنويا، فقد استدعيت هذه الشخصية بما اشتملت عليها من متعلقات تتداخل مع تجربة الشاعر وتنسجم مع حالته الوجدانية التي تعتلج في أعماقه نتيجة إحساسه تجاه ذاته وتجاه الواقع أيضا، ومن المواضع التي يتجلى فيها ذلك قوله في قصيدة "روائع الله":

لم يخلق الفن كي تهواه زوبعة يلوكها في شفاه الريح ناعينا

لم يبدع الفن إلا فيك..يا أفقا ما سلسل الضوء إلا في روابينا

عواصفنحن..ما انصاعت قوافلنا لليل..أو عفر الطاغي نواصينا

أحفاد أحمد تهوانا ملامحه فيشرب الدرب من أضواء هادينا

---

[1] _مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1983 ، ص 16، 17.

بشائر نحن من ورد ومن لهببشائر نحن يا أشباح لينينا[1]

يستحضر الشاعر استجابة لمخيلته، مما يقبع في ذاكرته، اسمين ورد ذكرهما في المقطع الأول اسم العلم "أحمد" أحد أسماء الرسولﷺ، مضافالـ:(أحفاد) والمقصود بهم أتباعه، حيث ورد اسم الجمع منادى لحرف نداء محذوف مقدر، وهو أيضا اسم له كثافته الدلالية ويحمل الإشارة للمسمى وهو الرسول ﷺ.

فحضور شخصية النبي ﷺباسم العلم "أحمد" يحمل الدلالة السابقة ذاتها رغم قلة كثافتها بالمقارنة بما يسند لاسم "محمد" وهو الاسم الأكثر شهرة على كافة المستويات والقيم ولدى كل الأمم، لكن يبدو أن ذاكرة الشاعر طفحت باسم "أحمد" لأنه يحمل البشرى للعالمين، التي لا تنقطع على مر العصور، ما دام أنصاره ومؤيدوه ما زالوا يواصلون دربه، وقد بشر الأنبياء والرسل قبله بقدومه بهذا الاسم، لأنه قد يكون أخص من الاسم المباشر وأكثر تماسكا منه في هذا السياق، والذي يؤكد هذا التأويل هو استدعاء اسم الشخصية الثانية "لينين" الممثلة للمبدأ و لموقف المضادين للموقف الأول، وهي شخصية سلبية ضعيفة ومنهزمة لأنها مطاردة بالبشارة المؤكدة لانهزامها وسقوطها في خضم الصراع القائم.

ويؤكد الشاعر صدق البشارة بسقوط المعسكر الشيوعي بإقامة الدليل القاطع لكل موارية عند ما يستدعي شخصية "محمد" عليه الصلاة والسلام، المخلصة للمجتمع من قيود التبعية والاستلاب من خلال ما يفصح عنه البيت الشعري الذي يرد بعد ذلك من القصيدة نفسها.

لولامحمد..لم تشرق طلائعنا ولا تغنى به – لولاه–نادينا[2].

ويلاحظ تأكيد الحضور الايجابي القوي للشخصية المخلصة باستخدام الأداة "لولا" حرف الامتناع لوجود المتكررة، كما تكرر معها الضمير "الهاء" الدال على الشخصية المستحضرة، وعلى أهميتها القصوى في إعادة الحياة الزاهية إلى طبيعتها الحقيقية.

وتحافظ شخصية الرسول ﷺ على تناسق حضورها المتوهج في النص، بثراء معانيها وعمق دلالاتها، كما نجدها في قول الشاعر في موضع آخر من قصيدة "عودة الخضر" التي يتوقع الشاعر بأنها ستكون عودة لانتشار الخير والصلاح في العالم فيقول:

---

[1])-ـ مصطفى الغماري: قصائد مجاهدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983، ص 65

[2]) _ المصدر السابق ، ص 66.

وأنا الربيع سرى فكان "محمد" يسقي الوجود حلاوة الإيمان

عانقت فيك أخا زرعت مناسكا وهصرت..نعمالمجتني والجاني

وطلعت فانتحر الظلام وكيف لا؟ والضوء منبثق من القرآن

ومشيت..من خطوبك يكتحل الثرى فتسبح الصحراء للرحمن[1].

– هاعدت..يا درب الهوى فمحمد دام..وجرح محمد حفار[2].

تستدعى شخصية "محمد" لاستكمال مشوار الرسالة المنوطة بها ويكون الاستحضار هنا عن طريق الفعل المادي أو الحدث الواقعي وهو العودة (عدت) المسند للشخصية المرافقة وهي شخصية "الخضر" التي سيقت في النص لتكون شاهدة على حضور الرسول المستمر وعلى آثاره بوصفه حاملا لرسالة سماوية تحمّل في سبيلها كل العراقيل والعقبات، فمحا الظلمة وجلا الغمة وزرع الأخوة والمحبة والإيمان بالله، ويشهد الخضر بعودته على أن هذا الطريق باق على الدوام رغم الجراح.

تحيي شخصية "محمد" هذه المعاني بحضورها اللافت في موضع آخر إذ يقول الشاعر في قصيدة "اطمئني أماه":

أيها الجرح لملم النور واضرب جبهة الليل..والضياعالغبيا

أنا أهواك..فانشر الله ظلا أنا أهواك..ثائرا صوفيا

خذ نشيدي. يا جرح خذ وترياالصديان..خذمهجتي..وخذجفنيا

فغدا..تثمر الدروب كما الأمس نداء طاهرا..وعطرا نديا

ونحي محمدا..وضحاه ونغني نشيدنا الأزليا[3]

يكون استحضار الشخصية بمثابة الدواء الشافي للجرح، والنور المضيء لظلمة الليل والعودة بعد الضياع، ما يوحي باندماج الشخصية في السياق اللغوي للنص وتحقيق الثراء في ذهن المتلقي، حيث تعود به الذاكرة إلى الماضي الزاخر بالعبر ليقوم ببلورتها مع روح العصر.كما استدعى الشاعر

---

[1] _مصطفى الغماري: أسرار الغربة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977، ص 36.

[2] _المصدر نفسه، ص36.

[3] _المصدر نفسه: ص 50.

شخصية محمدﷺ بصفاتها التي تعرف بها وتدل عليها في النص دون عناء، إذ يمكن للقارئ أن يتعرف على ملامح الشخصية من خلال هذه الصفة في قولهفي قصيدة "صلاة في محراب الزمن الأخضر":

جاهلياتنا تشل نهانا أو يرضى فناءها قحطان

وتجلى الصباح..فانهار ليل جاهلي.. وقوضت أركان

والرسول الكريم يعلو محياه..صفاءطهر..وصدق حصان[1].

ويقول أيضا في مقطع يتلوه من القصيدة نفسها:

يا رسول السلام، يا خير من يهوى خطاه الصعيد والكثبان

مرحبا..طلعةكما البدر نهواها..فداها الأرواح والأبدان

قد سكت الهوى لقومي...فكانوا لا تسل في سرابهم كيف كانوا[2]؟

ويقول في موضع آخر من قصيدة "لن تموت الحقيقة":

وحين تنز المآثم يا ليل تسكر أشباحك الداميه

وتورق بالعار منك عيون تضاجعها النزوة الجانيه

رسول السلام....أيفنى السلام وتصلب أبعاده الصاديه

أراها وقد شل فيها الضياء وجفت مواويلها الزاهيه

فيا للسلام طريدا كعيسى تلاحقه الأعين الداجيه[3].

تتجلى الشخصية بعمقها الديني وثقل وزنها التغييريوالرسالي، يستدعيها الشاعر بحمولتها المكثفة في السياق الواقعي الجديد المناسب، تارة عن طريق الحديث عنها بذكر مناقبها وهيئتها، كما في المقطع الأول (والرسول الكريم...) وتارة أخرى بمخاطبتها مباشرة، بآلية الحوار الذي ينطلق من الذات الشاعرة نحو الشخصية المستدعاة، فيعلن عن وجودها وحيويتها "يا رسول السلام..." من

---

(1) _مصطفى الغماري: نقش على ذاكرة الزمن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص27 ، 28.

(2) _المصدر نفسه، ص 29.

(3) _مصطفى الغماري: أسرار الغربة، ص 53.

خلال استخدام أسلوب النداء،الذي يفسر طبيعة الحوار، الذي هو بمثابة بث للشكوى وتصريح بخوالج النفس، ويكون أسلوب النداء دلالة على الحضور الفعلي المناسب لشخصية الرسولﷺ، لتسهم في تعميق الرؤية الجديدة التي يتبناها الشاعر ويقبلها المتلقي، لأنه سيقتنع بأن وجود الشخصية المخلصة ضروري لحل المعضلات، التي استعصى على الجميع حلها، لا سيما نعمة الأمن والسلام، التي بعث من أجل أن يحققها في حياة الناس، وتبدو قيمة الشخصية الموضوعية والفنية، عندما تكون منتجه للمعنى والدلالة، ولا يمكن الاستعاضة عنها أو استبدال شخصية أخرى بها قد تقوم مقامها، حيث سيتجلى لا محالة الاضطراب في النص من حيث المبنى والمعنى أيضا.

ويعكس المسار الفكري الذي ينتهجه الشاعر في نصوصه أسلوبه المتميز في التعامل مع شخصياته التي تحضر بأبعادها الفكرية والفنية للمشاركة في بناء النص وفي انتاجه، فنجده مثلا يزاوج في الاستدعاء بين شخصيتي "محمد "وعيسى" عليهما الصلاة والسلام كما في البيت الأخير من المقطع الثالث(فيا للسلام طريدا كعيسى...) وكما في قصيدة "يا قدس"

يا قدس كم فيك من ذكرى مقدسة طارت بأجنحة الأضواء نجواها

توهج الحزم في جلّى محمدها وأورق الطهر في أهداب عيساها

مسرى الحنيفيةالسمحى وقبلتها يا طهر قبلتها..يا عز مسراها

كانت..ولم تك للناعين قافية ولم يكن لرموز الذل أقصاها[1].

هذا التوظيف المزجي بين شخصيتي "محمد" و "عيسى" عليهما السلام هو استجابة لحاجة النص المضمونية أولا ثم البنائية ثانيا، تبعا للمنطق المنتهج المرتكز على واحدية الأسلوب والغاية الرابطة لعلاقة الشخصيتين ببعضهما البعض، فرسالة السلام هي رسالتهما معا، ومدينة السلام "القدس" قبلتهما وأمانتهما معا، هذه حقيقة واقعية يوظفها الشاعر مستلهما معانيها الثرية من ثراء الشخصيتين اللتين تختزلان الكثير من الأحداث الواقعية التاريخية التي يدركها المتلقي، وقد تعاقبت الرسالات على فترات لكي تذكر إحداها الناس بالأخرى التي سبقتها، وتكمل مسارها الذي كانت قد بدأته قبلها.وقد اقتضت المشيئة أن يبعث محمد ﷺ ليختم الرسالات ويميط اللثام عن الكثير من الحقائق التي ظلت مخبوءة تحت تراكمات التاريخ وظلت الخطايا والآثام التي اجترحتها يد الإنسان في

[1] _مصطفى الغماري: حديث الشمس والذاكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 18، 19.

حق أخيه، ومن حق الشاعر –ككل عاقل في الحياة– أن يعرف هذه الحقائق، حتى يضع حدا لحيرته (أيفنى السلام وتصلب أبعاده الصادية؟)، إنه استفهام إنكاري يعمق التأزم النفسي ويضاعف الحيرة، جوابه عند من أرسل لنشر السلام في العالم (رسول السلام)، فهو الذي يعرف من يطارد السلام في الأرض كما طارد عيسى من قبل «ژ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ډ ډ ډ ډ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ڀ ڀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ژ[1] وتتضح كيفية تعامل الشاعر مع الشخصيتين في نصه، حيث استدعى شخصية الرسول محمد ﷺ بواسطة الحديث إليها، لأنه كان يركز الأضواء عليها باعتبارها عنصرا محوريا في النص، واستدعى شخصية النبي عيسى عليه السلام بواسطة الحديث عنها وفي هذا الاستدعاء لا يظهر "عادة غير صوت الشاعر بوصفه راويا للقصيدة"[2] فيبدو حضور عيسى عليه السلام عرضيا في الصورة التي يشكلها النص، وكأنه يسلم بحق الحضور القوي لرسول السلام ﷺ، ويدعمه في تولي زمام الأمور لما يكتسب من قدرة على تحقيق هدف الرسالات السابقة أما الحديث عن القدس في المقطع الأخير المذكور قبلا، الذي يشير إلى أن الشاعر أراد التعبير من خلاله على نكبة فلسطين وانتكاسة العرب والمسلمين في احتلال وتدنيس ثاني القبلتين وثالث الحرمين الشريفين "القدس الشريف" فإن الاستدعاء اتبع تقنية واحدة في توظيف الشخصيتين داخل النص الحاضر وهي الحديث عنهما، حيث تختلف عن تقنية الحديث إليهما في البناء اللغوي فتتحول ضمائر المخاطب إلى ضمائر الغائب (محمدها–عيساها) وذلك تبعا للمنطق الأسلوبي والمعنوي الذي انتهجه النص في انتاج الدلالة الجديدة، أي من خلال المونولوج الذي يعقده الشاعر مع نفسه في مواجهة القدس المكلومة التي يبادلها الأوجاع، ووفق هذا النمط من الاستدعاء يظهر لنا توافق توظيف الشاعر للشخصيتين داخل نصه مع حمولتيهما الدينية الكثيفة، فيقوم بامتصاص ثرائهما لتكوين علاقات جديدة مع عناصر النص المستحدثة على مستوى البنية السطحية أو على مستوى البنية العميقة، حيث يتم ربط الذكريات المقدسة التي تمثل الماضي الذي اتحدت فيه النفوس وتطهرت الأرواح وامتزجت الدماء وعم فيه التسامح،بالحاضر الذي انتشر فيه الظلم والفتنة والاستبداد والذل والقهر، إذ يشكلان أزمة بالغة التعقيد، لكن مفتاح انفراجها يكمن في الاقتداء بالماضي المتسامح الذي زرع شجرته النبيان عليهما الصلاة والسلام، ويلاحظ حرص الشاعر على

---

[1] سورة النساء الآيتان157-159

[2] _أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، ص 10.

إحداث التكافؤ والتوازن في التركيب اللغوي كتساوي الكلمات وتناغم اتساقها وتكامل أجزائها وتلاحم معانيها من أجل تشكيل الرؤية الشعرية الفنية (فعل-فاعل-جار ومجرور-مضاف ومضاف إليه)، فتلاحم اللغة يفضي إلى تلاحم أجزاء الصورة الشعرية وكلاهما يفضيان إلى ضرورة تلاحمالقوى المؤمنة لحماية ورعاية مصير القدس المشترك.

إن الخيط الدقيق الموضوعي الذي يمده الغماريليربط بين نصوصه في متنه الشعري فيعكس فهمه ورؤيته الفكرية للتغير والتطور في حياة المجتمع المؤسسة على العودة إلى الماضي أي الأصل الذي يمثل مصدر كل إبداع يجعله كثير الاغتراف من ذلك النبع، فنجده يستعين بأحداثه وشخوصه لتغذية جزئيات نصه وتنمية بنائه من جهة، ويجعله في مواجهة خصومه المخالفين لرؤيته ولخط مسيره الفكري من جهة أخرى، فيولد ذلك لديه إحساسا عنيفا "يكاد يملأ عليه نفسه وفنه معا و يصلح أن يكون مدخلا إلى فهم عالمه الذي يطمع إليه أصالة وإبداعا وتفردا ، مثلما كان للماضي عالمه المبدع المتفرد"[1].

فيرنو إلى الشخصيةالأكثر امتلاء بالحيوية والثراء الدلالي، إنها شخصية "محمد"ﷺ في مقابل شخوص مخالفة عنيدة و متصلبة وثرية بالمعاني و الدلالات الضدية المناقضة لدلالات الشخصية الأولى .ففي قصيدة « الهجرتان» يقول :

كفرت قريش.. وإنها لكفور وطغت..وطغيان الكفور ثبور

وجفت سبيل الرشد حين سرابها طاغ وحين شرابها ديجور

قالت قريش..مالسحر "محمد" يغوي وجوها مالهن صدور

« واللات و العزى» وما قسم بها دين ولا داع لها منصور

كذبت قريش..حين أقبل جمعها ودعت.. وداعيها غدا مقهور

يا حامل التوحيد في درب الأذى لا تأس ..عقبي الظالمين دحور[2].

الصراع المحتدم بين الإسلام الذي يمثله ويتبناه "محمد" وصحبه والكفر الذي تمثله قريش واللات و العزى يبلغ أشده و يتصعد شرره ، فيبلغ حتى العصر الراهن، فيتحول هذا الصراع القديم

---

[1] _ شلتاغ عبود شراد: الغماري شاعر العقيدة الإسلامية،مؤسسة الإخوة مدني، الجزائر2003، ص156.

[2] _مصطفى الغماري : الهجرتان،دار المطالب، الجزائر 1994، ص10، 11

إلى صراع حديث، تدير رحاه الشخصيات المستدعاة ذاتها، فتتسع مساحة المشهد لتشمل العنصر الجديد، ويسهم القديم في تنمية و تطوير حركة الصراع القديم و الجديد، ويزداد تعقيدا ويزداد نشاطه و حركيته نحو الحل الذي يحسمه الشاعر لصالح الفئة المؤمنة الموحدة (يا حامل التوحيد...لاتأس... عقبى الضالمين دحور)تتجلى هنا في هذا المقطع أيضا، كيفية استدعاء الشخصيات المتعددة المتناقضة في نص واحد، لبلورة الفكرة العامة مشفوعة بالأفكار الجزئية المكونة لها، وذلك بواسطة الحديث عنها، بصوت الشاعر باعتباره المنتج الأول للنص، من أجل صنع المعنى المطابق لحاجته الواقعية الحاضرة، ولذلك نجده ينتخب من الثراء اللغوي و التاريخي الذي يكتنف هذه الشخصيات،مايراه متناسبا مع بنية نصه، محاولا إشراك المتلقى في صناعة معانيها، بضبط قراءته لماضي الشخصيات المستحضرة الواسع، على اعتبار أن "الماضي نقطة مضيئة في ساحة معتمة شاسعة"[1]. ويكمن دور الشاعر في البحث عن هذه النقطة المضيئة[2]. لتحقيق غاية النص الدلالية،"وقد تلبست شخصيةالغماري بهذا الزمن القديم الحاضر الآت.. حتى صار هو هو.."[3].فنستشف من غياب الرابط اللغوي بين العصرين القديم و الجديد في فضاء النص، حضور التواصل بينهما بصفة مستمرة تتلاشى فيها الفوارق والاختلافات بتلاشي عنصري الزمان و المكان الذي يعوضهما عنصر التماهي و الواحدية، ولعل هذه السمة الفنية هي في الحقيقة انعكاس للتوجه الفكري المبني على واحدية المعتقد الذي يتبناه الشاعر ، مقابلا لمعتقدات غيره المتعددة و المختلفة (اللات و العزى...) الرامزة إلى التفرق و التشرذم ، لأن اللات و العزى والآلهة الأخرى تتجسد في هيئات جديدة دالة عليها و على إفلاسها المؤكد (ولا داع لها منصور) و يمكن أن نستشف أيضا، كيف تتدخل الذات الشاعرة المبدعة(الغماري) في تساوق الكلمات والعبارات والمعاني الجزئية، نحو الرؤية العامة في النص، فتكون نتاجا لامتزاج رؤيتين ماضية وحاضرة،متعالقتين و متطابقتين، وذلك عندما يكشف عن أسباب انهيار و سقوط بناء الكفر الذي شيدته "قريش" من الطغيان و الثبور و الكذب و القهر.

ويستمر النص الشعري عند الغماري في توظيف شخصية "محمد" ﷺ ممتصالمرجعيتها الدينية بطريقة توافقية منسجمة مع السياق والواقع الجديدين، فيقوم الشاعر بتفجير طاقتها الدلالية المتعددة المتآلفة مع رؤيته الجديدة، التي يستمدها أساسا من أصلها القديم، سنعرض بعض المواضع من شعر

---

[1] _أحمد مجاهد: أشكال التناص الشعري، ص360.

[2] _أحمد سعيد أدونيس: الثابت و المتحول، ط8 دار الساقي، بيروت، لبنان2002، ص313.

[3] _شلتاغ عبود شراد: الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، ص157.

الغماري التي تبرز الوقع الفني و الموضوعي المتعدد و المتنوع لحضور الشخصية ودورها في دعم إنتاج دلالات النص الحاضر الجديدة على أساس التوافق بينهما (الديني / الشعري) فنجد الشاعر في أحد مواضعه الشعرية في قصيدة "برقية إلى فتى العروبة"يقول:

اشرب على نخب الطبول واطرب كما تهوى الأصول

واسكر فداك «مشايخ» جروا بساحتك الذيوب

جاؤوك ملء هوانهم ورد..تلفع بالذبول

متآمرون على الأصالة مرجفون على الأصيل

جاؤوك باسم "محمد" وهم التبابعة المغول[1].

يتضح استدعاء الشخصية باسم العلم، في سياق يدل دلالة واضحة على صاحب هذا الاسم وهو الرسول الكريم ﷺ لأنه جزء لا يتجزأ من الأصالة، بل هو مشكلها، وقدتم استدعاؤه أيضا بواسطة الحديث عنه مقابلا لشخصية أخرى، يضمها السياق متناقضة ومتضادة معها، هي الشخصية العامة "المغول"، وهم نوع آخر من أنواع الأعداء المخالفين والمناهضين. وقد استدعيت للنص الشعري بالحوار الأحادي الذي يصدره الشاعر (المونولوج) أو ما يسمى بالرواية وقد قصد الشاعر بهذه المقابلة الاستعانة بشحنتها التعبيرية و الرؤيوية المناسبة لطبيعة الشعر بنائيا و فكريا.

وفي موضوع مماثل بقصيدة « أحلام الملك الفتى »يقول:

سأعود مثل أبي.. ومثل جدودي وتقدس التاج المهيب حدودي

سأعود مثل البرق تعرف وشمه قم ومن نار المجوس شهودي

ودع الإمام يصغ مواسم حبه فلأحرقن وعوده بوعيدي

الحالمون بنشر دين محمد لأقوضن وجودهم بوجودي[2].

يتم استدعاء شخصية الرسولﷺ بالحديث عنها بذكر اسمه "محمد" وبالحديث عنه و لكن ليس بلسان الشاعر المباشر، إنما بلسان الشخصية المحورية "الملك الفتي" التي يتقنع بها الشاعر و يدير

---

[1] _مصطفى الغماري : عرس في مأتم الحجاج، ص57.

[2] _المصدر نفسه، ص73.

حوار النص من خلفها، من أجل أن يمرر رسائله المشفرة المشكلة لرؤيته تجاه واقعه المعيش، الذي يشيع فيه التنكر للإسلام كشرعة ومنهاج لتنظيم حياة الناس ، وعدم الخضوع لحكمه، مجسدا في الشخصية القناع (الشاة) مقابلة لشخصية "محمد" ﷺ مجسدا للدين الجديد. ويعول الشاعر على هذا التضاد الذي يمكنه من إثبات ادعاء الملك الضال و بطلان حججه وفساد رأيه، وإقناع المتلقي بهذا الرأي، مع التمكين لمن هو أحق بالسيادة والريادة في أرض العراق، وهو الإمام الذي اتبع دين محمد و تمسك بمنهجه. ويحاول الشاعر إقناع المتلقي بفكرته تجاه الإمام، في إحداث العلاقة الوطيدة بينه وبين شخصية الرسول محمد ﷺ، وفي ظل هذه العلاقة تتشكل مكانة الإمام وهو الشخصية الحديثة التي يتم حضورها في النص، لتمثيل الرؤية المعاصرة متماهية مع الرؤية القديمة الممثلة بالشخصية المستدعاة، يتجلى هذا في قصيدة "عبدان":

عبدان تكبر في الجراح أصيلة وتظل ياعبدان أن تشمح هام

وحسامك البدري وجه "محمد"هو إن يعد الخالدون "إمام"

لن يسرقوا منك الضياء وإن أتوا وقنابل الغدر اللئيم عرام

لن يلمسوا منك الجبين فإنه شمس "وتكريت" الصغار ظلام

عبدان باكبر الشهيد معفرا دمه على درب الجهاد حسام

ماعز من ترك الجهاد وماعنا لبني الصغار مجاهد مقدام[1].

ويلجأ الشاعر إلى مخزون ذاكرته يستثمره في إغناء النص بالدفق الإيحائي العميق الثاوي في شخصية "محمد"ﷺ حينما يوظف طاقتها المتوهجة فيصل بها إلى أعلى قمتها داخل بنية النص الحاضر، مستغلا ما تتمتع به هذه الشخصية من نشاط حيوي في الوعي الجماعي، حيث نجد الشاعر يدعوالرسول ﷺ بأهم ما يميزه وهو اسمه (أحمد) الدال عليه عبر السياق، ليكون معادلا موضوعيا للفرج و الانعتاق و الخير كله، فهو الشخصية التي بيدها مفتاح الحلول لكل الأزمات التي يعيشها العالم المعاصر، وتملك الإجابة عن كل الأسئلة والاستفهامات و الطموحات الواقعية التي تشغل بال الساسة و المفكرين في الوقت الراهن، فإذا قرأنا قوله في قصيدة "فتوى الزمان":

لا لن تنام جراح كلها نقم وليس يهدأ جيل كله غضب

---

[1] _المصدر السابق، ص 82-83.

أيهدأ النيل و التاريخ مهزلة يعربد العرض فيها يلهث الطلب

تباع مصر بسينا .. يالمأثرة بيعت على نخبها الأهرام و العرب

واأحمداه..مسافات الجهاد على زماننا حاصرتها الروم و النوب

كل الدروب "جلال" حين نخبرها وكل سمراء في مأساتنا "حلب"

والقدس.. يا لجبين القدس منعفراوالقادة السمركم غنوا وكم طربوا!!

تأنق السلم حتى صار مفخرة وفلسف الجبن حتى أحمد الهرب !

وما عليهم وقد بيعت كرامتهم أن يعبد الأصفران الذل و الذهب !

وا أحمداه وهذا العصر يعصرنا وخنجر الغدر في أوطاننا كلب !

إن تسأل الأزهر المعمور يا وطني تجبك مئذنة بالصمت تصطخب

يروعني الصمت أن يغتال مئذنة بين الشموس و أغلىمجدها نسب

فتوى الزمان جراح الجيل تكتبها لا ماتنوء به الأقلام و الكتب ![1].

يظهر النص أهمية شخصية الرسول ﷺ " وا أحمداه " من علاقة الاسم بالشخصية المستدعاة، فلا يقع فيه لبس أو خلط مع شخصيات أخرى تحمل الاسم نفسه، نظرا لشيوع وشهرة هذه الصيغة الإستدعائية المستخدمة في النص، وتوافقها الفني مع وحدات السياق كافة، لاسيما بروزها ضمن أسلوب الاستغاثة الذي اعتمده الشاعر، فجاء مناسبا لمقتضى الحال الذي يتطلب إنقاذا سريعا، ولعل الشاعر قد نجح في توظيفه الفني الذي يضمن مشاركة القارئ الذي يدرك على الفور، هذه الضرورة التي لا مناص منها، خاصة عندما يعرف مباشرة الشخصية محل التوظيف.يتكررمع الشاعر الإحساس بفعالية الشخصية وقيمتها الفنية و الموضوعية، ويتكرر إيرادها في النص كمعادل موضوعي للانتصار و السؤدد، كما في قصيدة "آتون" حيث يقول:

ياراي "عقبة" ياخيول "محمد" "بدر" بجرح الرافضين ثبات.

وعلى جناح الضوء نزرع نارها فتميد ملء دمائنا الواحات

---

[1] _ مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 123- 125.

إنا لنشرب من ملامح بعدنا فتثور في جرح اليقين حياة[1].

تستدعى الشخصية مرافقة لشخصية "عقبة" التيحظيت بحضور مكثف هي أيضا في نص الشاعر لأنهما متكاملتان و متآلفتان، امتزاجهما في النص يساعد الشاعر على صياغة رؤيته الفنية و الفكرية الحالية.ويظهر تعامله المتميز مع شخصية الرسول المستدعاة دائما بالنظرة الفنية والمعنوية ذاتها، مثلما نلاحظ ذلك أيضا في قصيدة "شهادة" حيث يقول:

وبأحمد العربي كنا أمة وبه يقاتل من يخون الدار

هيهات أن تهب الربيع مواسم مطرت سماء من دم ودمارا

فاخشع إلى أعتاب أحمد والتمس منه الهدى واستلهم الآثار

وكن ابنه في الخالدين تكن به نصرا أظل زمانه فأنار[2].

يصدر الغماري في نصه من باطن ذاته الثائرة على الواقع المعيش نتيجة ترسبات الأزمات الاجتماعية و الإحباطات التاريخية و الصراعات الإيديولوجية فنجم عن ذلك ضياع الأرض وانتهاك الأعراض و المقدسات واختلال ميزان القيم واختلاط المفاهيم، فعم الفضاء خواء رهيب قاتل ، وظلام حالك وغموض داهم، تنوء لغة الذات الشاعر بالتعبير عنه فيسعفها الرمزأو الشخصية القناع الذي يغني سياقاته، فنشهد عنده النسق الذي يمتزج فيه الرؤياوي بالديني و بالعرفاني.

2-شخصية الإمام الحسين رضي الله عنه:

ومن التداخل المتآلف أو الموافق لدى الغماري توظيفه لشخصية "الحسين" المقصود به ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، إذ يجعله الواقع المأساوي الذي تعيشه الأمة، يعود إلى التاريخ ليسترجع واقعا مزريا، مرت به الأمة الإسلامية قديما، لم يكن يختلف كثيرا عما هو حاليا، فتكون حادثة مقتل الحسين بن علي، مدخلا إلى التجربة المعاصرة التي يريدالشاعر التعبير عنها، ففي قصيدة "كان لي حلم" يقول:

أيباع تاريخ الهوى وتظل تمضغنا الحدود

ونظل نسفح جمرة الأ شواق للحلم الشريد

---

[1] _مصطفى الغماري: أسرار الغربة، ص161.

[2] _مصطفى الغماري، قصائد متنقضة، منشورات إتحاد الكتاب الجزائر 2001، ص70.

تروى على شفة الغيا ب ونحن يا حلمي شهود

متآمرون على" الحسين" ومشفقون على يزيد

ومولولون.. ونحن من ذبجوا الأصالة بالجديد[1].

وظف الشاعر شخصية "الحسين" على أنها معادل موضوعي، يوحي بدلالات الظلم والاضطهاد. ويتعمق هذا الإحساس حين يسهم الشاعر في تصعيد أحداث النص، بذكر شخصية مستدعاة هي أيضا للنص مضادة للشخصية الأولى، وهي "يزيد" (يقصد به ابن معاوية بن أبي سفيان) لتكتمل حيثيات المشهد، ويتضح نسج الرؤية المعبر عنها، من خلال الإشارة إلى التناقض الصارخ الذي تمثله العقلية البشرية منذ القديم، فيكون سببا لإصابة إنسانية الإنسان بالاضطراب المستمر ، فيظل هذا المنطق سار إلى يوم الناس هذا ، ويظل يرافقه انهيار القيم و سقوط الأمة التي يعبر عنها الشاعر بالضمير المنفصل "نحن" ، أو الضمير المتصل "واو الجماعة" قاصدا به الإشارة إلى الوعي الجمعي، وإن أجمل ما في ربط الشاعر بين الماضي و الحاضر، هو حسن اختياره للشخصية المستحضرة الغنية بالإثارة والمسارات التصويرية واللغوية المناسبة للموقف، ومن خلال حسن استغلاله لملامح الشخصيتين المستحضرتين، استطاع أن يولد "الإحساس بالمفارقة لدى المتلقي بين هذه الملامح ، وبين الجانب المعاصر من التجربة"[2].

كما تفنن في رسم أبعاد المعاناة التي بلغت أوجها، حين لف الذات الضياع و الانكسار والحزن و الألم الذي نلمحه في قصيدة "عرس في مأتم الحجاج" من خلال قوله:

يا للسجون و إنها لغنية والساجنين.. وإنهم أسفار

إن يدمنوا كأس الجريمة بينهم فمن المآسي يولد الأحرار

سكروا بأفيون الشعوب وإنه ترف يجيع شعوبهم وسعار

وتواجدوا في وحدة غزلية لبناتها الأوهام لا الأحجار

قتلوا حسينا آهياوشم الضحى مزقا ..تلم جراحه الأطيار

---

[1]_ مصطفى الغماري: نقش على ذاكرة الزمن، ص87، 88.

[2]_ علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص213.

قتلوهباسم الناكثين.. وإنهلو يعلمون مدى يصيح.. وثار

يا أمة ضحكت.. وحق لها البكا والحاكمون "أمية" "وتتار"[1]

تستحضر شخصية "الحسين" بواسطة الحديث عنها، فيميزها السياق الذي توجد فيه، حيث يشار إليها مقرونة بالجريمة المقترفة في حقها، فتصير علامة على تردي الأمة العربيةوالإسلامية، حين أصيبت بخلل عميق عمقه أسلوب حكمهم ونموذج حكامهم، وتتوفر شروط المشهد الهزلي وتكتمل صورته، بذكر شخصيتين مناهضتين للتحرر، وعدوتين للأمة "وللحسين" وتلك بؤرة واضحة لبشاعة الموقف، وإغراق في رسم صورة دالة في مضمونها على اضطهاد ومطاردة الشرفاء و الصالحين من أبناء الأمة، مما يدل على الخلل الذي قاد الكرامة إلى الدمار، و حق للأمة أن تبكي عليها، وقد عمد الشاعر إلى دمج شخصيات متنافرة ليجعلها خلفية للنص، يعبر من خلالها بعمق عن معانيه، ضمن بنى مضمونية وفنية متلائمة، فجعل "بني أمية " و" التتار" صورة تتمازج فتفضي إلى قتل"الحسين" الذي يعني موت و هلاك كل القيم الروحية الإنسانية النبيلة وقتل للأمة برمتها و لتراثها العتيد .

لكن موت "الحسين" ﷺ لم يمت في الأمة، كل نبضها و جميع جسدها، وكل عناصرها وأحاسيسها، بل إنه ترك بعض العروق تنبض بالحياة، وبعض الحركة التي تجوب السكون، وبعض الضياء الذي يمسح عن الدنيا الظلام، وهو ما عبر عنه قوله في قصيدة «أهوى صباحك»:

من نحن؟ وانطلقت جياد الرفض أقرؤهاقصيده

هما بذاكرة الخليج يعيد لي كبر العقيده

موجا من الحلم الجديد ألم في وتري جديده

وتميد في "قم"الجهادحدوده.أهوى حدوده

ثار الحسين فمت بدائك مت بغيظك يا "يزيد"

ثار الحسين. وفي يده النار. و الأمل الجديد

للكادحين على الدروب الخضر تغريهم وعود

---

[1]_مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج، ص 17، 18.

ولأنت وعد الغيب يامطراتهيم به الورود

لا "الشاه" يلحد في الضياء ولا رؤاه تشل داري[1].

ويستدعي الشاعر شخصية "الحسين"، لتضيف بعدا جديدا لدلالة الثورة الانقلابية و التمرد والرفض للواقع التي يثيرها النص، فيكون الحسين قائدا لهذه الثورة، التي تكون كرد فعل للظلم و القهر الذي تعرض له هو و جماعته من قبل ، ويريد الشاعر أن يمهد للتعريف بهؤلاء القادمين من بعيد بالسؤال (من نحن؟) الذي يدعو القارئ إلى ضرورة التوقف لمراجعة الذاكرة و مشاركة الشاعر في التعرف على حقيقة هؤلاء الثائرين الذين نهضوا للانتقام لدم الحسين وإكمال مسيرته، وقد ارتبط استدعاء هذه الشخصية في النص بحادثة مقتله، ما جعله يستدعي شخصية "يزيد" مواكبة لها في السياق نفسه للرابط الموضوعي والتاريخي الذي يجمعهما ، لأنهما يردان مرتبطين في ذهن الشاعر ويجسد استحضارهما موقفه من الواقع الجديد، الذي تتوافق و تنسجم دلالته مع دلالة الواقع القديم، وبتآلفهما تتشكل رؤية الشاعر الجديدة المتعلقة بالثورة التي عاصرها، مما دعاه إلى استحضار شخصية "الشاه البهلوي" الإيراني، للرابط الموضوعي نفسه، حيث يجعله الشاعر امتدادا لشخصية "يزيد" السابقة، ويكون شخصية رئيسة ثالثة فاعلة في النص، بما تحمله من إيحاءات معاصرة، ويحاول الشاعر أن يقدم هذه الحيثيات بلغة رامزة موحية وبصور يلتبس فيها الواقع بالخيال[2].

وتستحضر شخصية "الحسين" في نص الغماري لتتخذ دائما نموذجا للصدق والنقاء والتضحية في سبيل الحق و المبدأ، يهفو إليه خيال الشاعر، فيتمثله سبيلا يجب ارتياده نحو المطالبة بالحق، ومنهجا للصمود في مقارعة الباطل ففي قصيدة « وسل الأمير» يقول:

–وقضى الجهاد فمد أوراس شموسا من غضب

وامتد من أبعاده سبعا مضيئات خصب

بدماء من كانوا فكان الوعد يخترق الحجب[3].

–جيلا حسيني الرسالة لا يزيدي اللقب

---

[1]_ مصطفى الغماري: خضراء تشرق من طهران ، ص85.

[2]_شلتاع عبود شراد: الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، ص163.

[3]_ مصطفى الغماري:قراءة في آية السيف،ص17،18

حمل الدروب قصيدة عطشى و آمالاقشب

حتى ارتوت من جرحه سمر الدروب وما شرب

لا القهر يثني من خطاه و لا الشقاء وإن حزب

لم تغره الأطماع إن يغرى سواه فيستلب[1].

يستحضر "الحسين" ليكون مثالا يحتذى، ويحمل دلالة السير على أثره و نهجه، لأن الرسالة التي يحملها الجيل الجديد و المعاصر، هي رسالة حسينية، فهم الأتباع و المناصرون، وهم المناهضون في الوقت ذاته و الرافضون للانتماء اليزيدي، وقد أشار الشاعر للمنهجين المختلفين المتقابلين بنسبتهما لكل شخصية، بما يناسبها باستعماله للياء الدالة على النسبة (حسيني/ يزيدي) وللتفريق بينهما استعمل حرف النفي «لا» الدال على انتفاء علاقة التشابه بينهما، وحمل المتلقي على تفصيل منهج الحسين، بإحداث المفاضلة بين قيمتين: قيمة الرسالة وهي المهمة النبيلة التي اجتبى الله عزوجل أفضل خلقه من أجل القيام بها، وقيمة اللقب أو النسب الذي لا ينفع إلا شكلا، وهو دون الرسالة مستوى، بالإضافة إلى أن الاستدعاء، أقيم على أساس رصد مناقب الحسين الحقيقية التي كان منبعها وقوامها رسالي بحت، وكذا رصد ذكي لمثالب خصومه من الأمويين، التي كان سببها دعوى القبيلة و العرق و التعصب للنسب.

كما يجعل الشاعر من دم الحسين، وقودا لبركان هادر، يوشك أن يلتهم أعداء الأمة و الدين ففي قصيدة «ثورة وشاعر» يقول:

زعمت عيون الليل أن حبيبتي وهم. و أن ربيع ضوئي عاقر.

وهواك، ياألم الدروب، وحلمها فجر، وإن جن التململ، شاعر

بدم الحسين أرود فجري صاهلا سيفا ، و أرفض و التسكع كافر

بعد على طهران ظل مجاهدا سيظل يزرع ناره، ويجاهر

في مقلتيه تميد أوتار الهوى فيميد درب بالرجولة عامر

ملء الجبين– كما تشاء عقيدتي بعد إلهي ، وضوء عاطر[1].

---

[1]_المصدر السابق، ص18.

يستحضر الشاعر الشخصية بأحد نعوتها (الدم) إشارة الى مقتل الحسين دفاعا عن الحق ولم يكتف بذكر ما يميزه فقط، بل ألحق اسم الشخصية بميزتها حتى يسهل على المتلقي التعرف على الشخصية المقصودة، ثم إن تحديد هذه الميزة بالذات دون غيرها من المميزات التي يعرف بها الحسين بن علي ﷺ، له علاقة وطيدة بمضمون النص الحاضر من ناحية ولكي يكون مبررا قويا لأنا الشاعر، لإعمال السيف وإعلان الرفض و الثورة على الواقع المعيش من ناحية أخرى، وهي إشارة أيضا على الاستمرار في طلب الحق المسلوب و التمرد على الاستبداد والقهر، الذي رسم بدايته الحسين قديما.

ومن هذا المنطلق تتحول ملامح شخصية الحسين في نص الغماري إلى علاقة سيمائية دالة على معاني البطولة و الرجولة و الشهامة و الطهر والشرف... وغيرها من المعاني السامية . وتتحول أيضا بالمقابل شخصية "يزيد" أو "ابن هند" أو "زياد" أو "الحجاج"... وغيرها من الشخصيات الأموية المستدعاة في نصوص الشاعر، إلى سمة دالة على ما استقبح و استهجن من الصفات الإنسانية، لاسيما الدالة على الظلم و الاستبداد و البطش، و الأمثلة الدالة على المنحى الذي ينحوه الشاعر في رسم معالم هذه الشخصيات، موزعة على كثير من نصوص المدونة، ويمكن أن نذكر بعض المواضع التي تعد بيئة واضحة لهذه التقنية كما نجده في قصيدة "قتلوك":

أنت الدم المسفوح يورق في ملامحه انتصار

وهم الصغار..

هم مزعة الزبد المثار !

كانوا فكان الرعب يعتصر المسافة و الدمار !

حبلت بهم "رؤيا" تخثر في مفاصلها احمرار !

هم لليمين.. وان تعرى زيفهم..كانوا اليسار !

هم للشياطين الصغار دمى يعمدها الصغار !

*** * ***

في كل كوكبة «حسين» في كل مجزرة « يزيد»

---

(1)_مصطفى الغماري: خضراء تشرق من طهران، ص48.

ونظل نهتف «يا حسين» نظل نرثي.. يا شهيد

هذي مسافتنا بحجم العصر يلجمها الوعيد

تزجي ضمائرها لمن يهب النفيس أو الزهيد[1].

وفي قصيدة « أنت الحضور» يقول:

ياحسين الهوى جراحك عطشى وعطاش جراحنا يا قبور

نحن نحن القبور لا أنت..إنا دبكة مرة.. وكأس تدور

كم سكرنا وكانت الخمر آلا وصحونا.. وحلمنا مخمور

منتهى أمرنا رماد اغتراب وهوانا التوريد و التصدير

كل شيء يغلو سوى قيمة الإ نسان ..لافضة ولا قصدير

لاتزالي يا مقلة الجيل يقظفيد الغدر خنجر مسعور

من وراء الضباب ينقض وجه أموي ..يمتد زار ..وزور[2].

وكذا في قصيدة «طهران يا طهر النبي» حيث يتجلى استدعاء الشاعر لمجموعة من الشخصيات متشاركة في نسج موضوع النص، باحتكاكها المتضاد يتشكل المشهد الرؤيوي إذ يقول:

قم يا أبا سفيان، هنا عصرك الأموي ثار

حطم القيود، ولملم الكثبان ، واعتصر الغبار

أبناؤك الطلقاء.. كانوا فالزمان دم ونار

وعلى الخليج تمرسوا بالرفض وافتعلوا القرار

متآمرون على "الحسين" عليك يا قم الفخار

ولكم يقر لكل « حاخام» على القدس القرار

---

[1]_مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج، ص 95، 96.

[2]_مصطفى الغماري: حديث الشمس و الذاكرة، ص61.

فيم التعجب ..إنهم سرقوا من العجل النضار

فيم التعجب.. و اليهود هم العمومة و الجوار

* * * * *

قم يا ابن هند، إن كأسك في مسافتهم تدار

قم و اعتصر و اسكر، فعفلق من نداماك الكبار

و أرو الزمان قصيدة فدروبهم « زور» و« زار»[1].

يلاحظ في النص ربط الماضي بالحاضر لتوافق الدلالتين القديمة والجديدة ، والجمع بين شخصيات سابقة ولاحقة يتعذر اجتماعها في الواقع لاختلاف العصر ، لأن موضوع النص هو السبب الذي مكن الشاعر من فعل ذلك، بواسطة مقدرته اللغوية و التصويرية، حيث ساعده ذلك على اغناء النص و شحنه بدفق إيحائي عميق "يعتمد على إقامة جدل متوتر بين علاقات الغياب وعلاقات الحضور داخل النص و في ذاكرة المتلقي"[2].وقد تنوع باستعمال وسائط مختلفة كاسم العلم و الكنية و الصفة وضمائر الجمع المطلقة (أبا سفيان- ابن هند – أبناؤك الطلقاء- متآمرون – الحسين- حاخام- اليهود- عفلق).

كما نعثر في قصيدة «المنتصرة» على تواصل الإيحاءات الثرية التي تفرزها شخصية "الحسين" في النص الحاضر من خلال امتصاص توهجها ، حيث يمنح للشاعر متنفسا، يمكنه من استجلاء الأبعاد المفاهيمية التي يطرحها نصه ، لاسيما إذا ما اجتمعت معها شخصيات أخرى متنافرة أو متآلفة كشخصية "علي" التي يسلك بها النص المسار نفسه المؤدي إلى أهدافه ومراميه فنجده يقول:

"حلفاء الشمال" مهلا فما يد رك ثأر بمثل ما تأتونا

ألكم فضل ما جنيتم من العار أم الفضل حازهالسابقونا

ما رعيتم سوابق الوطن الحـر وكنتم بمثلها تفخرونا

وسفحتم دم المروءة و الكبــروأنتم بجرمكم تمرحونا

---

[1]_ مصطفى الغماري ، عرس في مأتم الحجاج ، ص 68، 69.

[2]_أحمد مجاهد : أشكال التناص الشعري، ص377.

وغلبتم وربما يخذل الحق ويغنى بالباطل الغالبونا

كما حسين على التراب ذبيح تله الطامحون و الطامعونا

كم علي يقاتل التيه في الإنسان يهدي لو أنهم يهتدونا

ومربيين منكرين يد الله عليهم وهم بها يفتنونا

قد دعاهم داعي الصليب و أغرا هم وساء المغرون و المغرونا[1].

تستحضر الشخصيتان مضافتانلـ«كم» الخبرية الدالة على كثرة عدد الذين يحملون ملامح الشخصيتين، إشارة إلى أتباعهما الذين يتبنون منهجهما،و يتعرضون للمصير نفسه الذي تعرضتا إليه من قبل ، كما يشير حضور الغياب في النص على أن دعوتهما لا زالت مستمرة رغم قضائهما.

3-شخصية النبي عيسى عليه السلام:

شخصية المسيح عيسى عليه السلام من الشخصيات التي نالت حظوة متميزة في التوظيفبنصالغماري، لأنها من الشخصيات الثرية بالدلالات، التي تتلاءم مع الواقع الذي يعيشه الشاعر لكن الذي ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام ، هو وجوب معرفة الجوانب التي أضاءها نص الغماري في هذه الشخصية، وهل تعامل معها مثل بقية الشعراء الذين وظفوها في شعرهم؟ إذ من النادر أن نجد شاعرا لا يوظف هذه الشخصية[2]. لما تكتنزه من المعاني التي تثري الخواطر المتدفقة من أعماق الشاعر، وتوائم ما في نفسه من هواجس، حيث رافقت شخصية المسيح عيسى عليه السلام نص الشاعر، و أخذت تنمو على نحو يتناسب مع نموه وتسهم في تطوره، وتلقي بظلالها عبر إنتاج الدلالات الجديدة، المشكلة لرؤية الشاعر والمرتبطة بخطه الفكري، الذي يمزج بين الماضي و الحاضر ، ويعتقد بأن الحاضر مرتكز على الماضي، و الماضي مشدود إلى الحاضر بتجاربه الروحية في غنائها وخلودها. كما أن الشاعر لا يفرق بين الأديان السماوية تأسيا بمبادئ عقيدته، ولا يفرق أيضا بين أحد من رسل السماء، لأن العقيدة واحدة منذ بدء اتصال السماء بالأرض، رغم اختلاف المسميات واختلاف المشارب، وعلى هذا الأساس تنمو شخصية « عيسى» في النص

---

[1]_ مصطفى الغماري: قصائد متنفضة، ص101.

[2]_خالد سليمان: ظاهرة الغموض في الشعر الحر، فصول ، مجلة النقد الأدبي ، المجلد 7، عدد3، 4، الهيئة المصرية للكتات 1987، ص72.

الحاضر،وتتطور حسب المنطق المنتهج مع الشخصيات الدينية الأخرى المستدعاة، وهذا ما نلتمسه في قصيدة « الهجرتان» في قوله:

وتململ الحلم الدفين بصدره و أفاق من سكراته الوجدان

إني لأسمع صوت عيسى مشرقا من بطن مكة ملؤه عرفان

فاخشع لدى عتباته أو لا تكن فمع الخشوع يضوء الانسان

ما للقيود ..تؤودني و تشدني ما للقيود ؟ وشرها التيجان

لولا المظالم لا نسلخت من الأنا ونبذت ملكا شأنه الشنئان

لولا المهاجر لا غتربت عن الحمى إن اغترابا في الحبيب أمان

كونوا معي يا اخواتي فوجودكم معنى به عرف الهدى حيران

لن تظلموا بمعيتي أو تسلموا حتى يوارى في الثرى جثمان

لاتيأسوا فالعسر ليس بلازب وإن ابتليتم فالبلاء ضمان

قدر بغيب أن سينسخ فتنة نصر به يستيقن الوجدان[1].

تم استدعاء شخصية « عيسى» بواسطة اسم العلم ، الذي تشترك معه فيه شخصيات أخرى لكن الذهن لا ينصرف لأي منها ، لأن السياق الذي ورد فيه يختص به وحده ، فالنص يصف حادثة الهجرة إلى الحبشة، ويذكر الحوار الذي دار بين النجاشي و المسلمين المستضعفين من جهة وبعض وجهاء قريش من جهة أخرى، لذلك يعتبر حضور شخصية عيسى بصوته المنبعث من قلب مكة، مصدقا و ملبيا دعوة الدين الجديد، مؤشرا قويا على تسامح الأديان، وروح التسليم عن طواعية وقناعة تامة بالمرسل الجديد، فحضوره دعم لموضوع النص الحاضر ، وتثبيت لرؤية النص الحديثة المبنية على أساس العلاقة الوطيدة بن الماضي والحاضر ، ذات الدلالات المرتكزة على الدعوة لإحياء الماضي. وقد استعمل الشاعر من الكلمات و التراكيب ما يدل على معاني التآخي والتآزر و الصبر مثل : (انسلخت من الأنا- نبذت ملكا –كونوا معي- لن تظلموا- تسلموا- لا تيأسوا....)

[1]_مصطفى الغماري: الهجرتان، ص 19، 20.

وقد كان الشاعر موفقا في استدعائه لشخصية عيسى تارة باسمه وبكنيته تارة أخرى في النص ذاته حين يقول:

«عمرو » يزخرف ما يشاء ضلاله ولطالما كاد النبي مريب

«ملك الملوك» ولا أقول تودّدا لك في ابن مريم.. إنه لصليب !

ماذا يقول « محمد » في أمه أم مايقول كتابه المجلوب ! [1].

يلاحظ استدعاء الشاعر لمجموعة من الشخصيات التي تلتقي في النص من أجل نسج أبعاد و أهداف الرؤية الجديدة (عمرو– ملك الملوك– ابن مريم– محمد).

التي تشكل مصدر الانبثاق في مجموعة من العلاقات تنشئها ذات الشاعر من خلال تكييف استحضار الشخصية لإعادة تشكيل المعنى وفقا للذائقة و المخيلة، محاولة للخروج إلى واقع جديد يؤكد على الانتماء الذي لازال رطبا وحيا في النفوس المؤمنة. والشاعر إذ يتخيل هذه الصور ويتوقعها يستخدم صيغة المضارع الدال على الحال و الاستقبال (يزخرف– يشاء– أقول – يقول).

وإذا أراد الشاعر استحضار شخصية « عيسى» لتساهم في النص الحاضر في إقامة الحجة على تفشي معالم الحياة المأساوية في تاريخ الأتباع للدين المسيحي ، الذين انسلخوا عنه ونسوا ما ذكروا به من طرف المسيح عليه السلام، فإنه يستدعي الشخصية باسمها الديني الذي تنسب إليه الديانة المسيحية التي بعث داعيا إليها، كما في قصيدة « موال عاشق»[*] قوله:

الهند تعلم يا سليل النور ..أنك ساعداها..

الهند تعلم من أزاد؟ إذا ألم بها عداها

ما الهند .. لولا أنت إلا قصة تروي دجاها

كانوا المسيح .. وماهم إلا المكبون الجباها

وتقمصوا « بوذا» الحكيم وفي الرحى تاهوا و تاها

---

[1]_ المصدر السابق، ص20.

[*]– هذه القصيدة كتبت في ذكرى أبي الكلام « أزاد » الذي يعلق عليه الشاعر قائلا إلى رمز التحدي و الجهاد في الهند إلى المفكر الإسلامي الكبير إلى فتى النبوغ و العبقرية الإسلامية ، إلى أبي الكلام أزاد في ذكرى وفاته التاسعة عشرة.

كانوا الخنوع .. وكنت في لهب الورود لها فتاها [1].

ولعل استخدام الشاعر لاسم «المسيح» في النص يعني أنه الأكثر شهرة و استعمالا عند المسيحيين. ولارتباطه أيضا بالموضوع ، لأن الاسم / اللقب يكثف ويختزل كل الحقائق و الحيثيات المتعلقة به، ويساعد على استجلائها في ذهن المتلقي استخدامه لصيغة الماضي (كانوا) مع "واو الجماعة" الدالة على متقدم وهم الهنود ، الذين تخلوا عن ديانتهم الحقيقية واتبعوا الديانة البوذية المستحدثة ، مما يجعل الشاعر يستحضر أيضا شخصية "بوذا" مقابلة لشخصية المسيح ليتجلى لدى القارئ وجه الاختلاف و الاقتناع بأبعاده.

ويلتمس الشاعر جوانب شخصية "عيسى " وفقا للفكر الديني الذي يؤمن به ، فيربط استحضارها بالمعاناة التي يشهدها في الواقع ، ويلامس أماني المؤمنين في جلائها، مستلهما التجارب الدينية الغنية بالإيحاءات و المتصلة بالأحداث المعاصرة.مثل واقع القدس الشريف، كما في قصيدة "خطاك المنار" إذ يقول:

ويا قدس كم تاجروا باسم "عيسى" وكم أوقدوا باسم "أحمد"نارا
وهم أيقظوا "اللات" من قبرها وساقوا لها "الحج " و"الاعتمارى"
تعاويذهم في الخليج ضباب وقرآن "طهران " كان المنارا [2].

كلمة "القدس" في النص هي التي تمثل محور الموضوع الرمزي في السياق و تمثل تراكما دلاليا، له وظيفة فنية، لذلك يتخذها الشاعر مفتاحا لشفرته، و القارئ سيدرك حتما العلاقة القوية التي تربط بين القدس و شخصية عيسى المستحضرة، من خلال الدور الذي يقوم به الآخرون تجاهها وتجاه الشخصية الثانية المستحضرة في النص مجتمعة معها وهي شخصية "أحمد " آخر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة و السلام و اجتماعهما يولد كثيرا من المعاني العميقة المتفاعلة مع سياق النص لاسيما بعد إبراز و استحضار ما يناقضها في المبدأ (اللات).

وفي موضع آخر يسلك المسلك ذاته عندما يستدعي شخصية المسيح باستعمال المضاف إليه إذ يقوم الشاعر بامتصاص الرصيد الدلالي للشخصية الكامن في الوعي الجمعي ، في قصيدة "وسل الأمير " إذ يقول:

---

[1]_ مصطفى الغماري: أسرار الغربة ، ص 166، 167.

[2]_ مصطفى الغماري: عرس في مأتم الحجاج ، ص 41، 42.

باسم المسيح تنمروا كم باسمه قضي الأرب !
للطهر مريم.. للسلام وليدها.. لا للحرب !
كم باسمه قتل السلام وباسمه اعتصر العنب !
عيسى حنانك إن نثر... فلدينهم ثار العرب [1].

فيعيد الشاعر تشكيل ملامح شخصية المسيح في نصه للتعبير عن واقعه، فلا يقف عند حدود دلالاتها، بل يتعداها لتبلغ أفقا دلاليا أوسع بتمازج الزمنين، ويتجلى حضور شخصية "مريم" عليها السلام، مرافقة لشخصية المسيح عليه السلام في سياق واحد يجمع بينهما الموضوع و الزمن، ويشكل الرابط الدموي و العقدي بين الشخصيتين أقوى الروابط، في الدلالة على الرصيد المعرفي الديني الذي يسكن ذاكرة الشاعر الغماري ، حيث يحتك بالفكرة التي ترد على مخيلته نتيجة تصوره الواقعي وإحساسه بالواقع الراهن، لاسيما ما يحدث في القدس الشريف، فيكون ميلاد النص الجديد محملا بمكنونات تلك الأفكار ، ليعبر عن حالة من القلق الناتج عن الرغبة في الخلاص الإنساني، كما يعبر عن أصالته بسبب طبيعته التراكمية التي تمكنه من استقبال هاتين الشخصيتين الغائبتين بحمولتيهما الثرية [2].الثاويتين في السياق وفي ذهن المتلقي.

ونص الغماري بما يتضمنه من عوامل تشكيله الخاصة قادر على استيعاب الشخصية المرجعية و هضمها وامتصاصها فتصبح جزءا متماهيا في بنية لا يسهل عزلها عنه، بل إن هذه الشخصية بكل مقومات الدهشة فيها، يستغلها الشاعر في تجديد قدرتها على الإثارة من خلال ذاتها و مما تقدمه من دلالات جديدة، تحمل القارئ عل استقبالها بتصور يستعيد الواقع برؤية جديدة يزداد تأثيرها فيه، يتجلى لنا هذا في قصيدته "قراءة في آية السيف " من خلال قوله:

إن اليهود قدسوا التلمود وركزوا في حده الحدود
كم غصبوا و أجلبوا وضموا والسادر العربيد لا يهتم
يرى الفخار أن يصب النار وينشر العيون و الدمار

---

[1]_مصطفى الغماري: قراءة في آية السيف ، ص12.

[2]_انظر محمد عبد المطلب : التناص القرآني في (أنت واحداها) لمحمد عفيفي مطر، "إبداع" مجلة الأدب و الفن. العدد1، شهر أوت 1990، ص15.

وينتخي في الشام أو في حلب يقبل الإسلام باسم العرب

والقوم بين الصمت والصمود والطهر كالمسيح في اليهود

يراهنون بئسما الرهان والدرس – يا للمسلم – الجولان [1].

يحاول الشاعر استلهام تصوره الواقعي من امتصاصه للمعاناة الكامنة في النص الغائب من خلال استدعائه لشخصية المسيح التي تلتصق دلالاتها وتنسجم مع الواقع الذي يعيشه في مجتمعه العربي الإسلامي، وتوائم ما في نفسه من هواجس، فنجده يربط عمله الفني بمعاناة الأمة، والإنسانية جمعاء عندما يضع يده على مشكلاتها ، ويلامس أماني النفوس في عمقها باستناده إلى التجارب الإنسانية العامة، لاسيما التجربة الإنسانية الدينية التي يثيرها استحضار شخصية عيسى عليه السلام في النص مثلما نجده في قصيدة "وجه ليلى" قوله:

وهل يكبر الإنسان إلا بفكره وما الفكر إلا ذروة وتسنم

هو العصر يغتال الشعور وباسمه يثور.. ومن خبر الأرقاء يغنم

على خطوه شلت خطانا وملئت خطايا.. وما عيسى فداء وسلم

وكم باسمه مدت قنابل حقدهم إذا دمرت لبى الدمار المحرم [2].

فالشخصية في هذا المقطع غنية بالإيحاءات المتصلة بأحداث الشعوب، لاسيما الشعب الذي ينتمي إليه الشاعر باستعماله للكلمات و التراكيب الدالة مثل (الأرقاء) وهي جمع مطلق لا يقصد به شعب معين، (جوعانا- نضحي- خطانا) فالشاعر رأى في فكرة فداء المسيح عيسى عليه السلام للبشرية التي تسوقها الكتب المقدسة (التوراة و الإنجيل...) ما يقترب من الأفكار التي يريد إيصالها للقارئ، والتي تعكس تماما النظرة المسيحة المكرسة في المجتمع المسيحي و تنسفها بحرف النفي المستعمل "ما" التي تنفي الشبهة عن النبي عيسى عليه الصلاة و السلام، والشاعر يعتمد في إثبات هذه الحقيقة و يتعامل مع شخصية "عيسى" المستدعاة في نصه الشعري الحاضر وفق ما ورد في النصوص الدينية الإسلامية ، لاسيما القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وإذا ما توغلنا في المتن الشعري أكثر، فإننا نجده يزخر بأسماء الكثير من الأعلام الذين ينتمون

---

[1]_ مصطفى الغماري : قراءة في آية السيف، ص 105، 106.

[2]_مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار ،مؤسسة لافوميك، الجزائر، ص 16، 17.

إلى عصور متعددة ، ولكل اسم من هؤلاء حمولة دلالية ثرية بالمعاني ، تسترعي اهتمام الدارس، لأنه لن يشكل لديه مجرد علاقة لغوية تدل على شخص من الأشخاص، بل إنه يركز على وظيفتها في النص الشعري لأنها تشير بطريقة أو أخرى "إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان و في المكان" [1].فإذا ما عرض لأحد هذه الأسماء وجده يتدثر بحمولة تراثية مركزة، تعود بذاكرته لتسترجع تاريخا مضى و تستدعي بتذكره مآثر أشخاص أو أقوام سابقين، كان لهم حضور مميز سلبا أو إيجابا في ذلك الواقع. ونصالغماري– كما هو ملاحظ – أكثر التصاقا بالدين، نظرا لطبيعتة الفكرية و الإصلاحية في الوقت الراهن.إذ يتخذه درعا واقيا ضد هجمات خصومه وخصوم عقيدته و مقومات هويته. مشيرا إلى أن القيم الماضية مستمرة في حياة الناس متجاوزة للبعدين الزماني والمكاني، لذلك فهو يحاول دوما التوفيق بين سياقين ورؤيتين سابقين بلاحقين متعلقين بتجربته الذاتية و بواقعه المعاصر، فتكون عونا لنصه الشعري للوصول إلى هدفه المسطر، وعاملا من عوامل إنتاج المعنى، وعلى هذا الأساس يصبح حضور الشخصية المصاحبة لأبعادها الدلالية السابقة في فضاء نص الغماري له دور فاعل في تشكيل أبعاده الفنية الجمالية وتحقيق متعته الإبداعية، عندما يقوم النص الشعري بامتصاصها وإدخالها في علاقاته الوظيفية الجديدة، مستعملا شكلا من أشكال التداخل مع النص الغائب.

[1]_محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص65.